PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(10): 1039-1050
ISSN: 1553-6939

The historical value of the jurisprudence of calamitie

Dr. Mansouria Kaddour[1], Dr. Bakhta Khelili[2]

[1,2]University of Relizane (Algeria).

The Author's E-mail: mansouria.kaddour@univ-relizane.dz[1],

bakhta.khelili@univ-relizane.dz[2]

Received: 04/2024 **Published: 10/2024**

Abstract:

If the various objective historical sources, such as the history of countries or regions, translations and others, are concerned with a specific direction, there are other buried sources that can fill some gaps or clarify several points of ambiguous or deficient historical events in other objective historical sources, and among these sources are jurisprudential books Such as the books of rulings, the books of anecdotes, the books of hisbah, the books of heresies, and so on. The books of calamities are among the important documents that help the historian to write Islamic history in the medieval era, as they are rich in important indications about many issues, on the diversity of their manifestations, whether related to legislation and rulings or what is related to most aspects of the daily life of a Muslim, so the books of calamities can be considered as an endless mine . Refer to it and benefit from it in some historical news

Keywords: books of fiqh, calamities history, society, historical events.

القيمة التاريخية لفقه النوازل

الدكتورة. منصورية قدور[1]، الدكتورة. خليلي بختة[2]

[2،1]جامعة غليزان (الجزائر).

الملخص:

إذا كانت المصادر التاريخية الموضوعية المختلفة مثل تاريخ الدول أو الأقطار، والتراجم وغيرها تهتم باتجاه محدد، فهناك مصادر أخرى دفينة يمكنها سد بعض الثغرات أو

توضيح عدة نقط من الأحداث التاريخية المبهمة أو الناقصة في غيرها من المصادر التاريخية الموضوعية، ومن هذه المصادر الكتب الفقهية من كتب الأحكام، وكتب النوازل، وكتب الحسبة، وكتب البدع، وغير ذلك. وتعتبر كتب النوازل من الوثائق الهامة التي تساعد المؤرخ على كتابة التاريخ الإسلامي في العصر الوسيط، فهي تزخر بإشارات مهمة حول العديد من القضايا، على تنوع مظاهرها سواء ما ارتبط بالتشريع والأحكام أو ما اتصل بأغلب مظاهر الحياة اليومية للمسلم، فكتب النوازل يمكن اعتبارها منجما بكرا يجب الرجوع إليه والاستفادة منه في بعض الأخبار التاريخية.
الكلمات المفتاحية: كتب الفقه؛ النوازل؛ التأريخ؛ مجتمع؛ أحداث تاريخية.

مقدمة:

درس الكثير من الباحثين المعاصرين أدب النوازل، فجعله البعض منهم مرتبطًا بقيم ثابتة وببرودة الحياة وتقاليدها الجامدة مشيرين إلى أنَّ هذه الثروة الفقهية مجرد أسئلة وأجوبة لمسائل دينية والهوامش النظرية الشائكة لأيَّ مجتمع وفي أيَّ زمان ومكان، ويصعب بالتالي توظيفها من الناحية التاريخية.

إلى جانب رأيّ هذا الفريق، فقد برز مجموعة من مؤرخين وباحثين مرموقين تفطنوا إلى قيمة هذا الموروث الإسلامي، حيث أمعنوا النظر في نصوصه، وفحصوا مضامينه وعالجوا مسائله بدقة، واضعين خطة علميَّة لاستثمارها، قائمة على قراءة تحليلية لأجوبة الفقهاء عن الأسئلة التي تحمل في طياتها حركة الواقع المعيشي الدافق، ومسيرة الحياة بتحولاتها وتعقيداتها وغناها ومشاكلها الملحة، التي كانت في الحياة اليومية للمسلم في العصر الإسلامي الوسيط.

ولهذا فلا شك أنَّ جُلَّ الباحثين المعاصرين في ميدان التاريخ قد ساروا على نهج تجديد الكتابة التاريخية، وذلك من خلال الانفتاح على المصادر الدفينة ويأتي في طليعة هذه المصادر كتب النوازل الفقهية، حيث أنَّها غنية بالمعطيات الفقهية وبأخرى تاريخية، لهاذا يقوم الباحثون والمؤرخون بالدعوة إلى ضرورة الغوص في مسائل كتب النوازل ونفض الغبار عليها وإعادة إحياءها، وذلك باعتبار أنَّ التعامل مع النوازل الفقهية أصبح أمرًا تفرضه ضرورة البحث عن مصادر جديدة لكتابة التاريخ وخصوصًا التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وحتى الثقافي للمجتمعات التي عاشت في فترات سابقة، وذلك من أجل سدّ الفراغ وخاصة الفترات التي تشح فيها المادة المصدرية.

وفي هذا الصدد ينقل لنا المؤرخ لحسن اليوبي حول كتب النوازل بقوله: تعد مؤلفات النوازل من أهم المصادر التي لا غنى للباحث عنها، خصوصا في الدراسات الفقهية والاجتماعية والتاريخية...، كما يلمس فيها المؤرخ والباحث أحداثًا وإشارات واقعية وصريحة قد لا يجدها في كتابات المؤرخين، في حين تتوفر بكتب النوازل وتحتفظ بها.

وممَّا سبق يمكن طرح الإشكالية التالية التي يتركز عليها الموضوع: ما الدور الذي تقوم به كتب النوازل في عملية كتابة التاريخ الإسلامي؟.

ومنها تندرج مجموعة من التساؤلات هي: ما مفهوم فقه النوازل؟، وماذا نقصد بالكتب الفقهيّة؟، وما محل كتب النوازل من الكتب الفقهية؟، وكيف تجسدت مجهودات المغاربة في كتابة التاريخ من خلال توظيف كتب النوازل؟، وماهي الأهمية التي تحظى بها كتب النوازل في المجتمعات الإسلامية؟.

وللإجابة على هذا الطرح والتعرف على القيمة العلمية التي يحظى بها فقه النوازل والدور الذي يقوم به في كتابة التاريخ والتاريخ الإسلامي بشكل خاص، توجب علينا أولاً التعريف بفقه النوازل لغة واصطلاحا والمرادفات له، كما نشير إلى أهمية النوازل الفقهية في عملية البحث التاريخي، وكل من جهود المؤرخين والباحثين المغاربة في البحث بهذه المصنفات الفقهية، ونشير في الأخير إلى العراقيل والصعوبات التي نواجهها في التوظيف التاريخي لكتب النوازل.

1. تعريف فقه النوازل.

يتركب لفظ فقه النوازل من مفردتين "فقه" و"نازلة"، وللتعريف بفقه النوازل توجب علينا التعرف على كل من المفردتين فقه ونازلة لغة واصطلاحا.

1.1 تعريف الفقه لغة واصطلاحا:

1.1.1 التعريف اللغوي للفقه:

إنَّ تحديد المفهوم اللّغوي للفقه يتوجب علينا أنْ نَتعرف على ما نقلته المعاجم اللُّغوية حول المصطلح، فعند ابن فارس في معجم مقاييس اللغة، الفقه من "الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح، يدلُّ على إدراكِ الشّيء والعلْم به. تقول: فَقِهْتُ الحديث أفْقهْتُ الحديث أفْقَهَهُ. وكلُّ عِلْمٍ بشيء فهو فِقْه. يقولون لا يَفْقَهُ ولا يَنْقَه. ثم اختص بذلك علمُ الشريعة، فقيل لكلِّ عالم بالحلال والحرام: فقيه. وأفقَهْتُكَ الشيء، إذا بينته لك (أبي الحسن، 1979، صفحة 442).

وورّد في لسان العرب لابن منظور: "الفقه: العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم كما غلب النجم على الثريا، والعود على المندل" (ابن منظور، 2003، صفحة 145).

وجاء في قاموس المحيط لفيروز آبادي: "الفقه بالكسر العلم بالشيء والفهم له والفطنة، وغلب على علم الدين لشرفه" (الآبادي، د ت، صفحة 279).

والفقه لغة: هو "الفهم والفطنة" (سعدي، 1977، صفحة 279).

وعند الزبيدي: الفِقْهُ، بالكسر: العلم بالشيء، وفي الصحاح: الفهم لهُ، يقال: أوتي فلان فقْها في الدين، أيّ فَهماً فيه (الزيدي، 2001، صفحة 456).

وعند الزمخشري: الفقه: افْقَهْ عني ما أقول لك، وقال أعرابي لعيسى بن عمر: شهدت عليك بالفقه أيّ بالفهم والفطنة، وفي الحديث: من أراد الله به خيراً فقهه في الدين، وفقهت فلان كذا وأفقهته إياه: فهمت ففقه وتفقهه (الزمخشري، 1998، صفحة 32).

وعند الزركشي بدر الدين: يقال: فقِه بالكسر فهو فاقِه إذا فهم، وفقه بالفتح. فهو فاقه أيضًا إذا سبق غيره إلى الفهم، وفقُه بالضم فهو فقيه إذا صار الفقهُ له سجيّة، واستعمل لاسم فاعله فقيه، لأنَّ ((فعيلاً)) قياس في اسم فاعل ((فعُل))، ووقع في عبارة بعضهم: أنَّه اختير له ((فعيل)) للمبالغة، فاستعملها فيمن صار الفقه له سجية أولى (الزركشي، 1992، صفحة 20).

وفي القرآن الكريم فقد ذُكر لفظ فقه في مواضع عديدة، ففي قول الله تعالى: {لا يكادون يفقهون حديثا} سورة النساء، الآية 78، وفي قوله تعالى: {أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون} سورة الأنعام، الآية 65، وجاء في قوله تعالى أيضا في سورة طه: {يفقهون قولي} سورة طه، الآية 28، وقوله تعالى في سورة الأنعام: {قد فصلنا الآيات لقوم يفقَهُون} سورة الأنعام، الآية 98.

2.1.1 التعريف الاصطلاحي للفقه:

وأمَّا المعنى الاصطلاحي، فالفقه يطلق على أمرين: الأول: معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بأعمال المكلفين وأقوالهم، والمكتسبة من أدلتها التفصيلية: وهو نصوص من القرآن والسنة وما يتفرع منها من إجماع واجتهاد (الخن و آخرون، 1992، صفحة 08)، والثاني: الأحكام الشرعية نفسها، وعلى هذا نقول: درست الفقه، وتعلمتُه: أيّ إنَّك درست الأحكام الفقهية الشرعية الموجودة في كتب الفقه، والمستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وإجماع علماء المسلمين واجتهاداتهم (الخن و آخرون، 1992، صفحة 09).

وفي تعرف آخر الفقه في مفهومه الاصطلاحي: هو العلم بالأحكام الشرعية العمليّة المكتسب من أدلتها التفصيلية (الزركشي، 1992، صفحة 21).

والفقه اصطلاحا يأخذ بتعريف الأصوليين الذي ينسب إلى الإمام الشافعي، وعرف به كل من ابن الحاجب، والبيضاوي وهو: العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسب من أدلتها التفصيلية.

وقال ابن سراقة: حده في الشرع: عبارة عن اعتقاد علم الفروع في الشرع، ولذلك لا يقال في صفاته سبحانه وتعالى: فقيه.

قال: وحقيقة الفقه عندي: الاستنباط. قال الله تعالى: {لعله الذين يستنبطونه منهم} سورة النساء، الآية83 .

واختار ابن السمعاني في ((القواطع)) أنَّه استنباط حكم المشكل في الواضح. قال: وقوله صلى الله عليه وسلم: (رُبّ حامل فِقه غير فقيهٍ) أيّ: غير مستنبط ومعناه: أنَّه يحمل الرواية

من غير أنْ يكون له استدلال واستنباط فيها. وقال في ديباجة كتابه: وما أشبه الفقيه إلاَّ بغواص في بحر دُرّ كلما غاص في بحر فطنته استخرج دراً، وغيره مستخرج آجراً.

ومن المحاسن قول الإمام أبي حنيفة: الفقه معرفة النفس ما لها وما عليها. قيل: وأخذه من قوله تعالى: {لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت} سورة البقرة، الآية 286 (الزركشي، 1992، صفحة 22).

وعند ابن خلدون: الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهية والإباحية وهي مُتَلَقاةٌ من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقهٌ، وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلافٍ فيها بينهم (بن خلدون، 2001، صفحة 563).

والفقيه: العالم الفَطنُ... عند المالكية: من شغل أوقاته بالطاعة، والتعلم، والفتوى، وإن قصر عن الاجتهاد. وهو مجتهد. عند الحنفية: من يحفظ الفروع الفقهية: ويصير له إدراك في الأحكام المتعلقة بنفسه، وغيره... وهو المجتهد. وإطلاقه على المقلد الحافظ للمسائل مجازٌ. عند الحنابلة: العالمُ بالأحكام الشرعية العملية، كالحل والحرمة، والصحة، والفساد (سعدي، 1977، الصفحات 289-290).

والفقيه عند الشيخ أبي العباس القلقشندي: من ألقاب العلماء وهو اسم فاعل من فقُه بضم القاف إذا صار الفقه له سجية، ككرُم إذا صار الكَرَم له سجيّة. قال المسيلي في "شرح مختصر ابن الحاجب" وإنَّما يقع على المجتهد دون المقلد، أمَّا إطلاقه على فقهاء المكاتب ونحوهم على سبيل المجاز. على أنَّ الكتاب في الديار المصرية لم يستعملوا هذا اللقب إلاَّ في القليل النادرِ، بل كثر من جهلة الكُّتاب وغيرهم يستصغرون التلقيب به ويُعدونه نقصاً، وإنَّما يُعظم به جِدّ التعظيم أهلُ المغرب، والفَقيه نسبت إليه المبالغة، وهو مستعمل في ألقاب العلماء (القلقشندي، 1915، صفحة 22).

2.1 تعريف النوازل لغة واصطلاحا:

1.2.1 المفهوم اللغوي للنوازل:

النوازل جمع نازلة، وتشتق من لفظتي نزل والتنزيل، ويعرف ابن منظور النازلة في معجمه بقوله: "النازلة: الشديدة تنزل بالقوم، وجمعها النوازل، والنازلة الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس، نسأل الله العافية... والتنزيل أيضا الترتيب" (ابن منظور، 2003، صفحة 345).

وعند الزمخشري: نزل به مكروه، وأصابته نازلة من نوازل الدهر. وأنزلت حاجتي على كريم (الزركشي، 1992، صفحة 264).

وقال ابن فارس: نزل تدل على هبوط الشيء ووقوعه. ونزل عن دابته نُزُولاً. ونزل المطر من السماء نُزولاً. والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر تَنزل (أبي الحسن، 1979، صفحة 417)، ومن هنا فالنازلة هي المصيبة تنزل بالقوم.

يفهم من هذا النوازل جمع نازلة، بمعنى واقعة أو حادثة تنزل على الناس بالشدة، في حين يعني التنزيل الترتيب، أيَّ ترتيب الأحكام التي تخص النازلة الشديدة وفق فقه الأولويات والتوازن والتحكيم والترجيح.

2.2.1 المفهوم الاصطلاحي:

أمَّا اصطلاحا هي عبارة عن وقائع وأحداث ومصائب تنزل على الإنسان بشدة، وتستلزم حلولاً مستعجلة، وخاصة إذا كانت حديثة ومستجدة وخطيرة لا نص فيها؛ أيّ يقصد بالنوازل تلك الوقائع المستجدة التي تحدث في الواقع، وتتطلب من الفقيه النوازلي أنْ يجد لها جوابا أو أجوبة مناسبة، بالاجتهاد والبحث والتنزيل، والاستعانة بالنصوص والأدلة الشرعية (حمداوي، د ت، صفحة 08).

وبتعبير آخر، النوازل عبارة عن وقائع سياسية واقتصادية واجتماعية وفقهية مستجدة ومعقدة ومعاصرة، تتطلب من الفقيه النوازلي المجتهد أنْ يَقوم بتنزيل حكم فقهي على هذه القضايا الشائكة أو العويصة، أيّ يستخدم رأيه وقياسه واجتهاده في النازلة التي لا نص فيها، بالعودة إلى الأصول والفروع، ففقه النوازل هو نوع من الاجتهاد فيما لا نص فيه، وفي كتاب القاضي عياض: نزلت إليه من الأقضية تحار فيها الأذهان والأفهام ويبعد مأخوذها من طرق القضايا والأحكام، فيحكم فيها بما يتجه عنده ويبذل (عياض، 1990، صفحة 29).

وتطلق النوازل في اصطلاح الحنفية خاصة على: الفتاوي والواقعات، وهي مسائل استنبطها المجتهدون المتأخرون لمّا سلوا عن ذلك، ولم يجدوا فيها رواية من أهل المذهب المتقدمين، وهم أصحاب أبي يوسف ومحمد وأصحاب أصحابها، وهلم جرا. ثانيا: تطلق النوازل في اصطلاح المالكية خصوصاً في بلاد الأندلس والمغرب العربي على: القضايا والوقائع التي يفصل فيها القضاة طبقاً للفقه الإسلامي. والنوازل بهذا الاصطلاح تأتي بمعنى الأقضية، وهي نوازل الأحكام من المعاملات المالية والإرث ونحو ذلك مما تتعلق به حقوق، وتقع فيه خصومة ونزاع (الجيزاني، 2006، الصفحات 20-21).

3.2.1 تعريف مصطلحات أخرى للنوازل:

من المعلوم أنَّ لمصطلح النوازل عدّة مرادفات أو متقاربات مثل: الفتوى، الفتاوي، الأقضية، الوقائع أو الواقعات، الأحداث، الحوادث، الأسئلة، المسائل، الأجوبة، الجوابات، المشكلات، القضايا المعاصرة، القضايا المستجدة أو المستحدثة، وفقه الواقع، وفقه المقاصد، الأحكام، مسائل الأحكام، وفقه الرجيح والتوازنات، والأحكام القضائية، ومصطلح العمليات الذي انفرد به أهل المغرب (عياض، 1990، صفحة 10).

واشتهرت من هذه المصطلحات النوازل والفتاوى والأجوبة والمسائل، مثل: نوازل ابن الحاج لأبي عبد الله محمد بن الحاج الشهيد (تـ:529هـ/1135م)، وفتاوى ابن رشد لأبي الوليد محمد بن رشد القرطبي المالكي (تـ:520هـ/1126م)، وكتاب جامع مسائل الأحكام لما

نزل بالمفتين والحكام لأبي القاسم محمد البرزلي البلوي القيرواني (تـ:914هـ/1509م) (البركة و بن حمادة، 2016، الصفحات 89-90).

والنوازل أو الواقعات أو العمليات: هي المسائل أو المستجدات الطارئة على المجتمع، بسبب توسع الأعمال، وتعقد المعاملات، والتي لا يوجد نص تشريعي مباشر أو اجتهاد فقهي سابق ينطبق عليها (الزحيلي، 2001، صفحة 09).

والفتوى أو الإفتاء: فهو إخبار المفتي بحكم الله تعالى بما يجده في الأدلة من حكم الله تبارك وتعالى إما صراحة من النصوص الشرعية، وإمَّا استنباط من قبل المجتهد (الزحيلي، 2001، صفحة 11).

2. طبيعة النوازل:

يقصد بالنوازل تلك الفتاوى المرتبطة بالوقائع والأحداث الواقعية، سواء كانت سياسية أم اقتصادية أو اجتماعية أو دينية فقهية، وأغلب هذه النوازل من طبيعة العبادات والمعاملات.

قد اشتهرت النوازل في بلاد المغرب الإسلامي مثل مازونة وتلمسان ومعسكر...، وتتضمن هذه النوازل إجابات فقهية على أسئلة ومسائل مستجدة مأخوذة من فقه الواقع يستند فيها النوازلي إلى المذهب المالكي بشكل خاص.

ومن هنا تتكون النازلة من سؤال وجواب، فالسؤال ذلك الاستفسار أو الإشكال الذي يطرحه المستفتي، وقد تكون عبارته فصيحة وسليمة من الأخطاء، وقد تكون أيضا مختلة وركيكة من حيث اللّغة والتركيب، ومن جهة أخرى قد يكون السؤال وجيزًا أو مسهبًا، وقد يكون السؤال الرئيسي مذيلاً بمجموعة من الأسئلة المرافقة (الفتاح، 2013، صفحة 20)، مثل كتاب رسالة في أجوبة على أسئلة عبد القادر الجزائري للشيخ العلامة علي بن عبد السلام التسولي (تـ:1257هـ/1842م) (الستولي، 2014، صفحة 24).

أمَّا جواب النوازلي فقد يكون بدوره مختصرا لا يتعدى ثلاثة أسطر، أوقد يتعدى إلى صفحة أو أكثر، حسب طبيعة ظروف وملابسات ووقائع التي تحيط بالقضية والمسألة المطروحة، وقد يكون هذا الجواب في كتاب مستقلا، مثل ما ورد في كتاب المعيار الجديد الجامع المعرب من فتاوى المتأخرين من علماء المغرب، حيث ضمنه صاحبه الوزاني رسالة في السماع وتقييده حول عشبة التبغ (حمداوي، د ت، صفحة 12).

3. أهمية فقه النوازل للمجتمع الإسلامي:

تظهر الأهمية التي يحظى بها فقه النوازل في مجموعة من النقاط وسنتطرق إلى أهمها، منها:

- إنارة السبيل أمام الناس بإيضاح حكم هذه النازلة حتى يعبدوا الله على البصيرة والهدى، وذلك في منهج إسلامي واضح فلو ترك أهل الحل والعقد (المجتهدون) التصدي لتلك النوازل دون إيضاح لأحكامها، لصار الناس في تخبط، ومن ثم إبراز قدرة الفقه

الإسلامي وفاعليته لتقديم الحلول الناجعة لكل المشكلات والمعضلات.

- الحرص على تأدية الأمانة التي حمّلها الله للعلماء، فقد أخذ الله الميثاق على العلماء ببيان الأحكام الشرعية وعدم كتمانها، وقد حصر التكليف بهم، فأصبح ذلك لزاما عليهم التصدي للفتوى في النوازل ما استطاعوا لذلك سبيلا.
- قطع الطريق أمام المطالبين بتحكيم القوانين البشرية الأرضية وتنحية الشريعة الربانية (الفتاح، 2013، صفحة 26).

4. توظيف كتب النوازل الفقهية في البحث التاريخي:

حسب الباحثين والمؤرخين في هذا الميدان، ظهرت أولى المؤلفات في فقه النوازل في بداية القرن الثالث الهجري ببلاد المغرب الإسلامي عامة، وبلاد الأندلس خاصة، حيث شكل بروز هذا النوع من الاجتهاد حول مختلف الأحداث والوقائع التي طرأت على المجتمع الإسلامي بمختلف مكوناته الاجتماعية والاقتصادية، ليزدهر هذا النوع من التأليف منذ منتصف القرن الخامس الهجري، إثر ظهور العديد من المؤلفات (الهشتوكي، 1999، صفحة 62):

- كتاب الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام: لصاحبه عيسى بن أصبغ الجياني المعروف بابن سهيل (تـ:486هـ/1093م)، حيث يعد من أهم الكتب التي تناوت نوازل المجتمع ووقائعه اليومية، إذ يعد صاحب المصنف شارك في الوضع المتقلب بين المغرب والأندلس، فقد بعث سفيرا لابن بلقين صاحب غرناطة، وعين من قبل المرابطين قاضيا على غرناطة، ممَّاً يعني أنَّ ابن سهيل شاهد على عصره وزمانه، وأنَّ القيمة التاريخية لمضامين الكتاب حاضرة في أغلب الأسئلة التي عرضت عليهن فإنَّها وافية في بعض الأبواب، مثل كتاب الأقضية والشهادات وكتاب الاحتساب وما ورد فيها من أسماء الأعلام التي يقرنها بذكر تاريخ الوفاة، وأسماء القضاة الذين يحقق توليتهم للولاية مع ذكر تاريخ التولية، بالإضافة إلى المؤلفات التي يسمي بعض عناوينها، لهذا قيمة هذا الكتاب جلية نظرا للظرفية التي عاشها صاحبه، ناقلاً نوازلها بحسب الأمكنة التي وقعت فيها، موضحا المنهج الذي أعمل فيها للاجتهاد والإفتاء (البركة و بن حمادة، 2016، الصفحات 86-87)، ومن ذلك قوله: "جرت على يدي نواز استطلعت فيها رأيّ من أدركته من الشيوخ والعلماء وانفصلت لدي مسائل كاشفت عنها كبار الفقهاء إذ كانوا من أهل الشأن بأرفع مكان وأعلى منزلة... ما شافهتهم فيه، ومنها ما كاتبتهم في معانيه، وكنت قد علقت ذلك على حسب وقوعه لا على ترتيبه وتنويعه لأتذكر به متى طالعت واستظهر به متى احتججت وإن كانت أصول ذلك ففي تفريعها بيان وزيادات تقييد ما جرى به العمل، وكيفية الاستدلال في الأصول" (بن سهل، 2007، صفحة 25).
- كتاب جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام للبرزلي (تـ: 841هـ) (التنبكتي، د ت، الصفحات 225-226): من أشهر الكتب الفقهية المغربية، ولقد قام

البرزلي بجمع فتاوى السابقين، إذ جمع فيه الكثير من المسائل الخاصة بالبيوع والشركات وما كان معروف أنَّ كتب النوازل أنَّها مجرد نوازل فقهية محضة ولا يمكن استعمالها كمادة مصدرية للكتابة التاريخية، ولكن في الحقيقة كتب النوازل هي وثائق هامة لتاريخ الغرب الإسلامي في عدّة مناحي، فهي تزخر بإشارات مهمة حول العديد من القضايا على تنوع مظاهرها سواء ما ارتبط بالتشريع أو بالأحكام، أو ما اتصل بمختلف مظاهر الحياة اليومية للأفراد من أعراف وانقياد ودهنيات... ورغم قضاياه تبدو مبوبة وفق تبويب فقهي واضحة معالمه إلاَّ أنَّ بعضها وخصوصًا كتب المجامع (البركة و بن حمادة، 2016، صفحة 86)، وبالتالي دعمّت هذه المصنفات الفقهية المصادر التاريخية المألوفة المتعارف عليها من كتب الرحلة والجغرافيا والأدب في كتابة التاريخ.

- تكمن اهمية الفتاوى في إمكانية اعتبارها تدوين للتاريخ من قبل المفتي، فيجد المؤرخ بذلك القضية المفتى فيها جاهزة وموثقة بشكل رسمي لا يتطرق إليه الشك من حيث الوقوع أو عدمه، فغـــالبا ما تكون منتهية بختم مؤرخة باليوم والشهر والسنة، فهي بذلك سِجل للأحداث الواقعة عن طريق طرفين، هما السائل والمجيب، وهذا السرد التاريخي للسؤال والجواب، يُمكن المؤرخ من حل الإشكال التاريخي للحادثة المطروحة، وخاصة القائمين بالفتوى هم علماء من الدرجة الأولى في مجال اختصاصهم، مهما اختلفت أساليبهم أو تعقدت اصطلاحاتهم، فإنَّهم يكتبون ويدونون علومًا لها أثرها الفعال في حياة الإنسان (كربوع، 2014، صفحة 52).
- وتكمن أهمية النوازل بصفة عامة في ما تتضمنه من معلومات دقيقة عن الحياة اليومية للمجتمعات الإسلامية (بلبشير، 2017، صفحة 107)، فهي تنقُل صـورًا عن العلاقات الأســر من زواج وطلاق وميراث، ومختلف العلاقات الاجتماعية، والحياة داخل الأسواق، وعلاقات العمل، وأعمال التكافل الاجتماعي والنسيج العمراني والنشاط الزراعي والحرفي والتجاري (اليوسفي، 1996، صفحة 12)، والنشاط المذهبي وأصحاب البدع والأهواء والمعارك.

5. جهود المغاربة في البحث بكتب النوازل:

تعود أولى الدراسات التي اهتمت بالنوازل إلى بداية القرن العشرين وذلك إلى الباحثين الغربيين، نذكر من هؤلاء المؤرخين، روبير برنشفيك، وجاك بيرك (السعدي، 2009، صفحة 89)، بالإضافة إلى المستعرب الفرنسي ليفي بروفنسال الذي اعتمد في كتابه تاريخ إسبانيا المسلمة على الأحكام الكبرى لابن سهل، وفي الرحلة الموالية ظهر بالمغرب مؤرخون أمثال محمد المنوني الذي أشار إلى أهمية هذه المصادر مؤكدا على ما يحويه كتاب المعيار للونشريسي من معلومات اقتصادية واجتماعية يصعب ايجادها في كتاب آخر، ومحمد حجي فقد اعتمد على عدد مهم من هذه النوازل أبرزها مقنع المحتاج في أدب المحتاج في أدب الأزواج لابن عرضون، والجواهر المختارة للزياني، أمَّا التوفيق أحمد

الذي أكد على قيمة نفس المصادر في أطروحته عن إينولتان (أقسوس، 2015، صفحة 60)، كما يشير لذلك الباحث ابراهيم القادري بوتشيش بقوله: "...والحاصل أنَّ البحث في تاريخ الذهنيات قد أستدل عليها ستار من الصمت والتهميش في الدراسات الحديثة، ...لكن يمكن تدارك هذا النقص في الحوليات التاريخية بالرجوع إلى كتب المناقب والتصوف والنوازل الفقهية ..." (بوتشيش، 2014، صفحة 05)، هذا الأخير الذي يرى الطابع الفقهي للنازلة، فإنَّها تكتسي في ميدان الدراسات التاريخية بعدًا هامًا لما تتميز به من عفوية صدورها وبراءة مصدرها، فهي لم تضر عن سلطة رسمية، ولم لها بعد إيديولوجي أو سياسي، فابتعاد المفتي عن السلطة الحاكمة يجعل من النازلة نصا تاريخيا محايدًا يفوق أحيانًا قيمة النص التاريخي نفسه، ويمكن من إعادة البناء التاريخي بناءً منطقيا (كربوع، 2014، صفحة 53).

6. عراقيل التوظيف التاريخي لكتب النوازل الفقهية:

رغم الأهمية التاريخية الواسعة لهذا النوع من المصادر، إلاَّ أنَّها وضعت أساسا للفتوى، وليس كمادة تاريخية، إذ نجد الفقيه يكتفي بسرد المسألة والإجابة عنها، دون إخبارنا بمدى استجابة السائل أو المجتمع للحكم الصادر اتجاهها، وهو الأمر الذي يجعل الباحث يقف أمام عدة إشكاليات، فيما يتعلق بتحويل المادة الفقهية إلى مادة تاريخية طبيعية تخدم الجانب المعرفي للموضوع (اسعدي، 2018، صفحة 45).

وتتجلى بعض الصعوبات في كون دراسة النازلة الفقهية تتطلب دقة التركيز لتجاوز اللبس الذي يكتنف معظم نصوصها، بالإضافة إلى صعوبة فهم بعض المصطلحات الفقهية التي ترتبط بالصياغة الشرعية لأصول الفقه، يضاف إلى ذلك أنَّ المفتين غالبا ينكب تركيزهم بدرجة أولى على تبيان حكم الشريعة في القضايا المستجدة ممَّا يضفي على أحكامهم صبغة قانونية (اسعدي، 2018، صفحة 45)، دون أنَّ ننسى أيضا عنصري المكان والزمان بحيث نجد في بعض الأحيان النازلة لا تحدد بفترة ولا بزمان (البركة و بن حمادة، 2016، صفحة 86)، غير أنَّ أهم الإيجابيات في المادة الفقهية هو أنَّ الباحث والمؤرخ يسلم بصدقها دون أن يعتريه أيّ شك في الوقائع التي تسردها (كربوع، 2014، صفحة 53).

7. الخاتمة:

وخلاصة القول يتضح لنا مما سلف ذكره، أنَّ النوازل الفقهية عبارة عن مجموعة من الوقائع والأحداث في مواضيع مختلفة، ترد في شكل مسائل وفتاوى، وترتبط بظروف زمانية ومكانية معينة، تستلزم الفقيه النوازلي الإجابة عنها، وعليه تعد كتب النوازل وثائق هامّة للكتابة التاريخية، لما تحمل في طياتها من مخزون معرفي مهم في مختلف المجالات سواء السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية منها في العصر الوسيط الإسلامي.

استطاعت تصوير الحياة العامة للمسلم في العديد من الأزمنة والأمكنة باعتبارها تعالج قضايا واقعية وتعكس مواقف الفقهاء من مشاكل عصرهم، وبالتالي هي تعبر عن الحياة اليومية للمجتمع، ولذا هي ليست حبسا على المتخصصين بها من الفقهاء والمهتمين بعلوم

الدين فقط، وإنَّما تُعد وثائقا ونصوصا منفتحة على العديد من التخصصات بما فيها التاريخ الإسلامي، إذ تمد المؤرخ بوثائق مهمة في مجال التأريخ والتوثيق، وعلى الباحثين المهتمين باستغلالها أن يتسلحوا بالمنهجية الفذة، منها تنظيم أفواج تضم المؤرخين والفقهاء واللغويين لتكون الفائدة دون خلل منهجي في توظيف هذه المادة المصدرية الدسمة لصالح البحث التاريخي.

قائمة المصادر والمراجع:

1) أبو الاصبغ عيسى بن سهل. (2007). *الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام*. (مراد يحي، المترجمون) القاهرة: دار الحديث.
2) أبو حبيب سعدي. (1977). *القاموس الفقهي لغة واصطلاحا*. سوريا: دار الفكر.
3) أبي العباس أحمد القلقشندي. (1915). *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*. القاهرة: دار الكتب المصرية.
4) أبي القاسم جار الله محمود الزمخشري. (1998). *أساس البلاغة*. (محمد باسل عيون السود، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية.
5) أحمد بابا التنبكتي. (د ت). *نيل الإبتهاج بتطريز الديباج*. بيروت: دار الكتب العلمية.
6) أحمد ين الفارس أبي الحسن. (1979). معجم *مقاييس اللغة*. (محمد هارون، المترجمون) سوريا: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
7) الجيزاني, م .ح .(2006). *فقه النوازل دراسة تأصيلية تطبيقية* .المملكة العربية السعودية :دار ابن الجوزي.
8) الستولي, ع .ب .(2014). *رسالة في أجوبة على أسئلة الأمير عبد القادر* .فاس : مطبعة وراقة بلال.
9) السعدي, أ .(2009, 12). .النوازل الفقهية ورفدها للعلوم الإنسانية علم التاريخ مثالاً . *دورية كان التاريخية*.21-17 .pp ,
10) الفيروز الآبادي. (د ت). *قاموس المحيط*. القاهرة: مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع.
11) القادري إبراهيم بوتشيش. (2014). *المغرب والأندلس في عصر المرابطين*. د ن: منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية.
12) القاضي عياض. (1990). *مذاهب الحكام في نوازل الأحكام*. (محمد بن شرفة، المترجمون) بيروت: دار الغرب الاسلامي.
13) الهشتوكي, ا .ا .(1999). *فقه النوازل في سوس، قضايا وأعلام من القرن التاسع الهجري إلى نهاية القرن الرابع عشر* .الدار البيضاء :منشورات كلية الشريعة مطبعة النجاح الجديدة.
14) اليوسفي, أ .ش .(1996). *أهمية الفتاوى في كشف وقائع التجربة الأندلسية : ابن الحاج نموذجا، السجل العلمي لندوة الأندلس، قرون من الملتقيات والعطاءات* . الرياض :مكتبة الملك عبد العزيز.

15) جميل حمداوي. (د ت). *فقه النوازل في الغرب الإسلامي: نحو مقاربة تأصيلية*. الألوكة.
16) عبد الرحمن بن خلدون. (2001). *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*. بيروت: دار الفكر.
17) علي عبد الفتاح. (2013). *الزاهرات الوردية في الفتاوى الأجهورية للشيخ أبي الإرشاد نور الدين علي الأجهوري (ت: 1066هـ). [ماجستير في تخصص الفقه وأصوله، جامعة وهران]*. الجزائر: جامعة وهران.
18) عمر بلبشير. (2017). *النوازل الفقهية والتاريخ*. تلمسان: النشر الجامعي الجديد.
19) محمد ابن منظور. (2003). *لسان العرب*. القاهرة: دار الحديث.
20) محمد أقسوس. (30 01, 2015). *أهمية النوازل في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بالمغرب*. تاريخ الاسترداد 23 02, 2020، من أنفاس من أجل الثقافة والإنسان: https://anfasse.org/e-cle/twji9394368/5853.html
21) محمد البركة، و سعيد بن حمادة. (2016). *مصادر تاريخ الغرب الإسلامي: محاولة في التركيب والرصد*. فاس: مطبعة آنفو برانت.
22) محمد الزركشي. (1992). *البحر المحيط في أصول الفقه*. (عبد القادر عبد الله العاني، المترجمون) الكويت: دار الصفوة.
23) مرتضي الزيدي. (2001). *تاج العروس من جواهر القاموس*. (عبد الكريم العزياوي، المترجمون) الكويت: وزارة الارشاد والأنباء بالكويت.
24) مسعود كربوع. (03, 2014).). كتب النوازل بين الاستعمال الفقهي والتوظيف التاريخي-المعيار المعرب للونشريسي أنموذجا-. *مجلة علوم الإنسان والمجتمع*، الصفحات 49-77.
25) مصطفى الخن، و آخرون. (1992). *الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي*. دمشق: دار القلم.
26) وهيبة الزحيلي. (2001). *سبل الاستفادة من النوازل والفتاوى والعمل الفقهي في التطبيقات المعاصرة*. سوريا: دار المكتبي.
27) ياسين اسعدي. (11 02, 2018). *أهمية كتاب فتاوى ابن رشد في الدراسات التاريخية*. تاريخ الاسترداد 23 02, 2020، من مجلة أنفاس من أجل ثقافة والإنسان: https://www.anfasse.org